باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

الجزء السابع

صدر الجزء السابع من هذا الكتاب واكثر ما فيه صور مكاتبات الخلفاء والملوك والامراء والوزراء والاتباع اي مكاتبات الدوارين وتشترك كلها في فصاحة الكتّاب من حيث انتقاء اللفظ وتنميق العبارة وفي اتخاذهم الكتابة فنًّا من حيث اعتمادهم على التنميق والتزويق كأنهم يصورون زهر الربى واذناب الطواويس ولا قيمة للزمن عندهم كما لا قيمة للمداد والقرطاس

ولقد احسن القلقشندي جامع هذا الكتاب في ايراد الامثلة العديدة من تلك المكاتبات فان الباحث في الاخلاق المفتش عن اسباب الضعف التي نزلت بامم الشرق لوضعهم المرض بدل الجوهر يجد في هذه الامثلة شواهد كثيرة على ما يتطلبهُ . وانا دلالة على ذلك نورد الصور التالية

(١) نسخة كتاب من احمد بن طولون صاحب مصر الى ابنهِ العباس حين عصى عليهِ بالاسكندرية (سنة ٢٦٥ هـ)

« من احمد بن طولون مولى امير المؤمنين ، الى الظالم لنفسهِ ، العاصي لربهِ ، الملم بذنبهِ ، المفسد لكسبهِ ، العادي لطورهِ ، الجاهل لقدرهِ ، الناكص على عقبهِ ، المركوس في فتنتهِ ، المخوس [من] حظّ دنياهُ وآخرتهِ » !

سلامٌ على كل مُنيبٍ مستجيبٍ ، تائبٍ من قريب ، قبل الأخذ بالكظم ، وحلول الفوت والندم

واحمد الله الذي لا اله الاَّ هو حمد معترفٍ لهُ بالبلاء الجميل ، والطَّوْل الجليل ، واسألهُ مسألة مخلصٍ في رجائهِ ، مجتهدٍ في دعائهِ ، ان يصلي على محمد المصطفى ، وامينهِ المرتضى ، ورسولهِ المجتبى ، صلَّى الله عليهِ وسلم

اما بعد ، فان مثلك مثلُ البقرة تثير المُدْية بقرنيها ، والنملة يكون حتفها في جناحيها ، وستعلم عبثك الهوايل ! ايها الاحمقُ الجاهل ، الذي ثني على الغيّ عطفهُ ، واغتر بضجاج

المواكب خلفه — اي موردة هلكة باذن الله تورّدت، اذ على الله جل وعز تمرّدت وشردت، فانهُ تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابهِ مثلاً : (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ والخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

وإنا كنا نقرّبك الينا ، وننسبك الى بيوتنا ، طمعاً في انابتك ، وتأميلاً لفيئتك ، فلما طال في الغيّ انهماكك ، وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم تزدجر الموعظة تلين كبدك ، ولا التذكير يقيم اودك ، لم تكن لهذه النسبة اهلاً ، ولا لاضافتك الينا موضعاً ومحلاً ، بل لا تكنى بابي العباس الاّ تكرُّهاً وطمعاً بان يهب الله منك خلفاً تقلدهُ اسمك وتكنى بهِ دونك ، ولعدُّك كنت نسياً منسياً ، ولم تك شيئاً مقفياً ، فانظر ولا نظر بك الى عار نسبتهُ تقلّدت ، وتحفظ من قبلنا تمرّضت ، واعلم ان البلاء باذن الله قد اظلك ، والمكروه ان شاء الله قد احاط بك ، والعساكر بحمد الله قد اتتك كالسيل في الليل تؤذنك بحرب و بويل »

والكتاب ملأ خمس صفحات كبيرة وكلهُ على هذا النسق

(٢) نسخة ما كان كتب بهِ الى الفواد

« اعزّ الله تعالى انصار المقرّ الكريم ، العالي ، المولوي ، الاميري ، الكبيري ، العالي ، العادلي ، المؤيدي ، الزعيمي ، العوني ، الغياثي ، المثاغري ، المرابطي ، المهدي ، المشيدي ، الظهيري ، العابدي ، الناسكي ، الاتابكي ، الفلاني ، معز الاسلام والمسلمين ، سيد امراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحّدين ، اتابك العساكر ، عميد الدّول ، مشيّد الممالك ، عماد الملة ، عون الامة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد امير المؤمنين الخ »

(٣) نسخة كتاب من الملك الظاهر برقوق

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله ووليهِ السلطان الاعظم المالك ، الملك الظاهر ، الاجلّ العالم العادل ، المجاهد المرابط ، المثاغر المؤيد ، المظفّر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قامع الخوارج والمتمردين ، وارث الملك ، مالك ملوك العرب والعجم والترك ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، مملك الممالك والاقاليم والامصار ، اسكندر الزمان ، ناشر لواء العدل والاحسان ، مليك اصحاب المنابر والاسرّة والتخوت والتيجان ، مالك البحرين ، صاحب سبل القبلتين ، خادم

الحرمين الشريفين ، ظل الله في ارضه ، القائم بسنّته وفرضه ، سلطان البسيطة ، مؤمّن الارض المحيطة ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم امير المؤمنين ، « ابي سعيد برقوق » خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده واعوانه ، وافاض على العباد والبلاد جوده واحسانه ، تحيةً تتأرّج نفحًا وتتبلج صبحًا ، وتطوي ببعرفها نشر الخزامى ، وتعيد ميت الاشواق حيًّا اذا ما تخصّ الحضرة العلية ، السنية السرية ، المظفرة الميمونة ، المنصورة المصونة ، حضرة الامير العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيّد ، الأوحد ذخر الاسلام والمسلمين ، عدة الدنيا والدين ، قدوة الموحدين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، المتوكل على الله احمد ، ابن مولانا الامير ابي عبد الله محمد ، ابن مولانا امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر ابن الامراء الراشدين . اعزّ الله دولته وأذلّ عداته . وانجز من صعود اوليائه وسعود آلائه صادق عداته » الخ

والكتاب طويل ملأ خمس صفحات

(٤) نسخة كتاب من الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان ابي الحسن المريني في جواب كتاب ورد عليه منه وهي

« عبد الله وليه . السلطان الملك الناصر . ناصر الدنيا والدين . سلطان الاسلام والمسلمين . محيي العدل في العالمين . مؤمّن اولياء الله المؤمنين . ظل الله الممدود . وميسّر السُّبل للوفود . حامي القبلتين بحسامه من اهل الجحود . وخادم الحرمين الشريفين متّبعًا للسنة الابراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والرُّكّع السجود . والقائم بمصالح اشرف روضة وطيبة يعطّر طيبها في الوجود . ولي امير المؤمنين جمع الله به كلمة الاسلام بعد الافتراق . وقمع برعيه اهل العناد والشقاق . واوزعه شكر نعم الله التي ألّفت على ولائه قلوب ملوك الآفاق . وامتّعه بها منحةً صيرت له الملك بالارث والاستحقاق . وسيّرت كواكب مناقبه فلها بالمغارب إضاءة وبالمشارق اشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور . سيف الدنيا والدين . سقى الله عهده عهاد الرحمة ذرات اغراق . وابقى مجده بحمده الذي للامة المحمدية على تعظيمه اجماع وعلى تقديمه اتفاق . يخصّ المقام العالي . الملكيّ الاجلّ الكبير . المجير . العاضد . المثاغر . المظاهر . الفائز . الحائز . المنصور . المأثور . الفاتح . الصالح . الامكن . الاصون . الاشرف . الاعرف . الكريم المعظم . ابا الحسن عليًّا امير المسلمين . ابن السلطان السعيد . الحميد . الطاهر . الفاخر . الماهد . الزاهد . الاورع . الاروع . امير المسلمين

ابي سعيد عثمان . ابن السلطان . السعيد . الرشيد . السابق . الوامق . الجامع . الصادع . امير المسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق . ناظم مفرّق الفخار . وهازم فرّق الفجّار . والملازم لاحياء سنّة الجهاد المتروكة في الاقطار . حتى يجمع في ملكه اطراف المغرب الاقصى للاستيلاء والاستظهار . ويخضع لفتكه كلّ متكبر جبّار . ويرضع في سلكه ما تأبى وصعب من تلك الديار . ويرفع لسكه اعمالاً من الجهاد والاجتهاد تسر الحفظة الابرار . يظهر فيها البركة الاسم العلوي من نشر الهدى . وقهر العدا . اوضح الادلة وابين الآثار . ويؤثر سلطاننا المحمدي من علي عزمه وحمي حزمه . باعز الاعوان والانصار . فتظفر دار الاسلام من قومه بمهاجرين من ابناء البلاد يقرّهم بام القرى قرار . ويسير سواهم للبيت ذي الحجر والحجر والباب والميزاب والملتزم والجدار والاستار . بسلام مشرق الغرّة . موالي الخير . وثناء مع رياه لا يعبأ بالصبير مع نشره ولا يعتبر . ووداد مخفي الخبر . واعتداد يطول منهُ في ألسنة الشكر عن احصائه واستقصائه قصر . وايراد لمفاخره التي صارت بها الاخبار والسير . واعتقاد لمآثره التي سبق عثمانها الى احراز مزايا الفضل وجاء عليها على الأثر الخ

والرسالة طويلة ملأت ست صفحات . ولا اعتراض لدينا على هذا التمليق والتزويق الأ لان الناس متى اهتموا بالعرض فالغالب انهم يهملون الاهتمام بالجوهر . وقولنا هذا لا يتناول طبع صبح الاعشى لانا نراهُ من اجمع الكتب لما يتعلّق بتاريخ الممالك العربيّة واحوال اهلها

تقرير المعهد السمثسوني

عن سنة ١٩١٣

جاءنا هذا التقرير السنوي وهو كالتقارير السابقة حاوٍ لكثير من المقالات المفيدة لكبار العلماء في المباحث الطبيعية كالفلك والجغرافيا والجيولوجيا والكهربائية والنبات والحيوان وما اشبه وقد ملأت هذه المقالات اكثر من ٦٠٠ صفحة منهُ

ويظهر من النظر الى حساب اموال المعهد انها بلغت ٩٩٧ الف ريال او نحو مئتي الف جنيه ولكن أنفق منها تلك السنة ٦٢٧ الف ريال اكثرها انفق على حفظ المجموعات التي في المعهد وعلى بستان الحيوانات الوطني

الرُّجحان

قصيدة فلسفية طبيعية للدكتور شبلي شميل نظمها وشرحها واثبت فيها آراءهُ وآراء جمهور كبير من فلاسفة هذا العصر الروحيين والماديين بجعل آراء الاولين في معرض الزعم وبسطها وعللها فقال :

زعموا انهُ غريب بارض ليس فيها سواهُ شيءٌ غريبُ

الى ان قال :

خبروني ما دام منها وفيها اين يرجى معادهُ المحبوبُ
حلَّ فيها وكان منها سليمًا ثم يمضي وقد عرتهُ الكروبُ
خبروني عن حكمة من مجيء لمآب تعدُّ فيهِ الذنوبُ
ولماذا هـذا الثواب المرجَّى ولماذا هذا العقاب الرهيبُ

الى ان قال :

فدعونا من الخلود المعنّى ان نرحّب فبالفنا الترحيبُ
واصرفونا في ارضنا عن سماء صوت املاكها الينا نعيبُ
ارضنا للنهى خزانة علم وهي حقل للعالمين خصيبُ
علمونا ان الحياة جهادٌ ومجال الجهاد فيها رحيبُ
علمونا ان الهنا من هنـاء الغير منا صحيحةٌ مكتوبُ
لا تقولوا الاديان فينا لأمن ان تقولوا فقولكم مكذوبُ
قابلوا عصرنا بظلم عصور سادها الدين ثم بعدُ اجيبوا

والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل شبوب الحرب الحاضرة وما انجمهُ الفلسفة المادية

اما ما ذهب اليهِ من ان كل شيء في الارض من الارض فمردود بان القوة تأتي الارض من الشمس وتأتي الشمس من مصادر اخرى . واذا كان العقل حالة من حالات القوة فهو مستمد بحسب ذلك من غير الارض . وهذا العقل يرى بداهةً او استقراءً ان الموجودات المادية لا تستطيع ان توجد نفسها فلا بدَّ لها من موجد فاذا كان للموجودات موجد وهي على ما هي عليهِ من العظم والانتظام والاتقان والحكمة والقوة حتى يتولد بعضها من بعض وتولد

القوة حركة والحركة حرارة ونوراً وكهربائية وادراكاً وتفكيراً فهذا الموجد يلزم ان يكون عظيماً منظماً متقناً حكيماً قديراً . والموجودات مالئة الكون فوق ما هي عليه من الانتظام حتى اذا سار النور من بعض النجوم الينا بسرعته المعروفة وهي نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان لم يصل الينا في اقل من الوف كثيرة من السنين لبعدها الشاسع عنا . فقدرة هذا الموجد اشمل من كل ما يمكن تصوره وهي لا تختص بالكبير من الموجودات كالشموس والاقمار والضخم من الاحياء كالحوت والفيل والانسان بل تتناول ما نعدهُ صغيراً حقيراً بالنسبة الينا . رأينا قبيل كتابة هذه السطور قطعة من الجبن في احد جوانبها بقعة صغيرة تغيَّر لونها عما يجاورها فنظرنا اليها بمكرسكوب صغير واذا عليها حيوانات صغيرة جداً لا ترى بالعين لصغرها شكلها كالخنافس بيضاء الى الصفرة لكل حيوان منها فم ومعدة وايدٍ وارجل وغير ذلك من الاعضاء مثل اكبر الحيوانات . وكم في الارض من ملايين وملايين الملايين من مثل هذا الحيوان او اصغر او اكبر وقد وجدت بقدرة هذا الموجد او بالنواميس التي وضعها وسلَّطها على المادة

في هذا العالم المادي امور كثيرة لا نفهم موَّداها او لا نراها تجري على قوانيننا واحكامنا . فالاسراف كثير في ما يتولَّد من بيض السمك وثمر الشجر . والحيوانات يفترس بعضها بعضاً . والامراض تنتاب اناساً لا يستحقونها . والشرير يسود والصالح يداس . ولكن ان كنا لا ندرك ما في ذلك كله من الحكمة فاللوم على قصر عقولنا . وقد ادرك الباحثون المتعمقون منا الحكمة في بعض ما كان يعدُّ قبلاً مظنَّة الجهل . وقد ندرك الحكمة في كل شيء وهب اننا لم ندركها فجهلنا الشيء لا ينفيهِ

والدكتور شميل لا يوجب نفي ما لا نعلمهُ بل يحث الناس على التمسك بما نعلمهُ ولذلك قال « ارضنا للتحي خزانة علم » البيت . ولعلهُ يريد بالارض النظام الشمسي كلهُ وكل ما في الكون من مادة وقوة مما يؤثر فينا . واذا ثبت ما استنتجهُ بعض العلماء الآن من ان المواد كلها حالات من حالات القوة وتأيَّد مبدأ الاتصال ثبت ان الانسان بجسمهِ وعقلهِ جزء من القوة الشاملة وانهُ خالد بخلودها . وما ادرانا ان وجداننا لا يبقى معهُ بعد تغير صورته الجسمانية وان وجودهُ الوقتي في هذه الارض انما هو حلقة من حلقات وجود اوسع واعظم وحينئذٍ يصير للوجود الارضي معنى سامٍ والا عسر فهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين

وآراؤنا في الكون لا يلزم ان تكون دائماً قرينة الصواب لا سيما وانها كثيراً ما تتوقف على حالنا من الصحة والمرض وانزعاجة والتعب وحال المعدة من القوة والضعف